الذكرى ال ٦٨ اليوم العالمي لحقوق الإنسان

المدافعون العرب عن حقوق الإنسان باتوا هدفا رئيسيا للحكومات وجرائم جماعات الإرهاب

مقال الأستاذ ... علاء شلبي

الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان

تمر المنطقة العربية بواحدة من أحلك الفترات في تاريخها المعاصر، وربما الأسوأ منذ نكبة فلسطين ١٩٤٨، فما بين تفشي قمع الحكومات وتفاقم أنماط الإرهاب والتدخلات غير الحميدة للقوى الأجنبية، تشهد حالة حقوق الإنسان تدهورا غير مسبوق يصل إلى حد التقويض الكامل بصورته المباشرة أو عبر تدمير مقومات حماية حقوق الإنسان وفي مقدمتها القضاء على قدرة المدافعين عن حقوق الإنسان.

وتأتي الذكرى الثامنة والستين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان في وقت أصبح فيه المدافعون العرب عن حقوق الإنسان هدفا رئيسيا لقمع الحكومات وجرائم جماعات الإرهاب على حد سواء.

عانى المدافعون عن حقوق الإنسان خلال السنوات العشرين الماضية من إجهاض قدراتهم في مجالات حماية حقوق الإنسان، تارة من خلال القيود القانونية والأمنية الهائلة على العمل الحقوقي وخاصة في مجالات الحماية، وتارة أخرى بفعل تشجيع الشركاء الدوليين للحركة الحقوقية بالعمل وفق أولويات لا تتفق مع المطالب الشعبية العربية، وليس من بينها الاجتهاد في تعزيز الحماية.

وشكلت مرحلة الثورات والانتفاضات الشعبية العربية في العام ٢٠١١ نقطة تحول رئيسية في وضعية حقوق الإنسان في المنطقة، تزايد معها دور الحركة الحقوقية بصفة عامة، واتسع هامش حركة المدافعين بصفة خاصة، غير أن هذا الأفق لم تتح له الاستدامة، حيث لم يتم ترسيخ الهامش المتاح وفق ضمانات تشريعية تحميه، وتكالب الفاعلين السياسيين في السلطة وخارجها على استقطاب الحقوقيين في الصراعات السياسية أو تدمير قدراتهم على العمل والاستمرار.

ولم يمر وقت طويل حتى عادت صور القمع الحكومي لمجمل الحركة الحقوقية وخاصة للمدافعين عن حقوق الإنسان بصورة مكثفة تتجاوز في طبيعتها وقسوتها مرحلة ما قبل الثورات، وخاصة من خلال القيود الهائلة على حرية عمل الجمعيات من خلال تدابير تشريعية جديدة أو تشديد القيود السابقة في

الممارسة أو عبر ابتداع آليات وسياسات جديدة في البلدان العربية التي لا تزال تتمتع بهامش استقرار نسبي في الإقليم العربي المضطرب.

وفي ساحات الانفلات الكامل، يبقى المدافعون عن حقوق الإنسان الهدف الرئيسي لجرائم مختلف الفاعلين سواء الحكومات المنهارة عمليا أو الجماعات المسلحة الأخرى وبينها التنظيمات الإرهابية الأعتى في العالم.

وتعيد سلوكيات القوى الأجنبية الفاعلة في الإقليم العربي إلى الأذهان جملة من ملامح حقبة الاستعمار البغيض في الماضي وإن أتت بأدوات مختلفة نسبيا، وتشمل وضعية المدافعين عن حقوق الإنسان أحد مظاهر ذلك، حيث تتفاوت المواقف والتفاعلات على هوية المدافعين وانتماءاتهم وتوجهاتهم، وقد تتوقف كذلك على هوية خصومهم السياسيين من سلطات وأحزاب وجماعات إرهاب.

إن النيل من حياة وسلامة وحرية المدافعين في ساحات الاضطراب الرئيسية، بينما في ساحات الاستقرار الهش يجري فرض القيود على حريات المدافعين في التنقل والسفر وتعرض للاعتقال الجائر ولملاحقات أمنية وقانونية بمعزل عن الضمانات القانونية وفي غيبة رقابة قضائية جادة مع تجميد رسمي أو فعلي لأوعية النشاط الجمعياتية يصب في اتجاه واحد، وهو القضاء المبرم على أي التزام باحترام وحماية حقوق الإنسان بمفهومها الشامل من خلال القضاء على المدافعين الذين يحملون رسالتها.

غير أن الرهان يبقى قائما بقوة وفاعلية على وعي الشعوب التي تأثرت بمقاصد حقوق الإنسان ورفعت شعاراتها ضمن مطالب الثورات والانتفاضات، وهو رهان وإن تأخر لكنه يبقى رهانا مضمونا.

ويعزز من الرهان إيقاع سرعة التحول لذي تمسك بزمامه الأجيال الجديدة في مجتمعات شابة.

* * *